

أحمد إبراهيم الفزاوي

## الفصل .. ومجلس الشورى

• ما كنت أصيب قبل ذلك في الشرى  
• إن التراكيب في التراب تنفسور •  
• ما كنت أمل قبل نفسك أن أرى  
• ( رضوى ) حل أذى الرجال تصير •  
• خرجوا به - وكلل بك خلفه  
• سمعت موسى يوم ذاك الطيور •  
• وحن النوا ( جدنا ) كان غريفة  
• في قلب كل يوم ينظرون •  
• كمثل النشأة له برد حياته  
• لا ينظرون - فإله ينظرون •



• أبو الطيب المتنبي •

إنها لايات من قصيدة للمتنبي قبل نحو من ألف سنة وما أراها  
بمعانيها الرائعة .. إلا وثاء صادقا سبق به الشاعر - من وراء الغيب  
فيكي به فقيدنا العظيم وحييتنا الراحل الذي ملأ الدنيا كلها بمآثره ،  
وفضائله ، واجهش به كل مشرق ومغرب ، وفاص ودان ، و - كل من  
عليها فان ، وأنا لله وأنا إليه راجعون

وبعد :- فقد رغب الي سعادة اخي الميترى الكريم الاستاذ «محمد حسين زيدان» رئيس تحرير مجلة « الدارة » الغراء .. في رسالة خاصة مؤرخة في ٤/ ربيع الثاني عام ١٣٩٥ هـ - لم استلمها الا يوم ١٦ منه .. اى بعد مرور اثني عشر يوما على صدورها من الرياض الي مكة .

القول : رغب الي ان اكتب كلمة عن « الفصيل في مجلس الشورى » واسلوب الحكم لاعتزام مجلة الدارة اصدار عدد خاص عن الشهيد العظيم ..

وكانما اراد عفا الله عني وعنه : ان اكون في موقف لا احسد عليه من العجز والامياء .. او التهافت والاصفاء .

وما والله - استشعر بذلك غضاة .. فقد اخرس الحادث كل منطق - وارى ان هذا الغرس والاعتراق به ... هو البرهان على « الصدمة » التي جعلت النموع هي الناطقة ممن فجعوا به من « عباد الله » الذين عرفوا لجلالته .. فداحة المصائب ويغتنه .. وصعقته وشدة وفجعته والامه المبرحة .. ولكنه الايمان بالله وقضائه وقلده وخيره وشره .. وهو وحده القادر على ان يهبنا برحمته الصبر الجميل وهو حسبنا ونعم الوكيل .. و « المعجز من درك الانراك ادراك » .

واذا كان الموضوع معددا .. وفي نطاق خاص .. فانتني امهد له بمقدمة لا مندوحة لي من اعلانها وبيانها ... بمالها من دلالة على مكانة في الدنيا والاخرة ويوم يقوم الاشهاد . وهي كما اقصها في ايجاز ودون تزيد ولا تزلف ولا افتئات ! .

اى ورب الكعبة ، انها لكما اروييه .. في كثير من التعجب والاستغراب .. لانها من اسرار النفس او الروح .. وما اوتيتم من العلم الا قليلا . .

ذلك انني في ليلة الثلاثاء الموافق ١٣/٣/١٣٩٥ هـ - بت ليأتي كلها في قلق واضطراب شديد .. مع انقباض وامراض .. وقضيتها ساهرا مسهدا متوترا الامصاب شاكيا من اسقامي العديدة .. فلما اصبحت استعنت بالله .. وكابررت وصابررت حتى اذا اذن الظهر .. تداعيت واضطجعت على فراشي في كثير من التضرع والدعاء والابتهال ، فاخذتني سنة من النوم .. لا تزيد عن الساعة .. وخلالها رايت مشهدا ما يزال ماثلا بين يميني ... رايت الشهيد - تفعله الله برحمته ورضوانه - جالسا في اريكة لم ار قط مثلها جمالا وجلالا .. على « كرسي » ايمن منه عرش « الطاووس » ١٩ وهو مشرق المعيا باسم متهلل .. وكانت « الغرفة » واسعة .. مشرقة ... بالاضواء فاقبلت اليه للسلام .. فاوما بيمينه .. بان انتظر قليلا ..



فوقفت مكاني أتمنى بهذا المنتظر الرائع وأتمنى أن لا أريم عنه .. فما شمرت إلا  
وجرس الهاتف يرن كثيرا وبالعاج ... فصحوت على ضجيجها المتواتر .. فنهضت  
إليه ... متسائلا .. فماذا كان ؟

سمعت محدثي يقول لي وهو يجهش ويبيكي : ألا تسمع ؟ قلت ماذا ؟ قال استمع  
إلى الإذاعة السعودية فورا ... فإذا بالنبا العظيم يصك السامع ويذرى الدماح ...  
وإذا بهي أسقط مرتاعا ... ولا أعي شيئا إلا أنني في غمرة من الأشقاء ... وأسعفت  
بالتواشاد .. وبماء الكولونيا وتنتهت قليلا .. وعدت إلى نفسي أتساءل ؟ أما زلت  
في أحلامي ؟ رغم قيامي .. فكان الأمر غير مألوف ... ووجدتني أسترجع  
وأستجمع .. وأكرر هذه الآية : « الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه  
راجعون » ... وتذكرت « أن الصبر عند الصدمة الأولى » .

وكان المألوف من المصائب أنها تبدو كبيرة ثم تصغر فإذا هي في « الفصل » ..  
تزداد بمرور الزمن فتكبر وتكبر ... وما زلت أعاني منها حتى التي ربي مؤمنا  
بأنها تمحيص - لا مفر منه - وقدر نافذ لا يملك تلطيفه أو تخفيفه غير من يبيده  
ملكوت السموات والأرض .. و « لله عاقبة الأمور » .

وأعود إلى ما طلب إلي الحديث عنه من علاقة « الفصل » بمجلس الشورى  
خلال رئاسته له ومنذ نحو من خمسين سنة - مع العلم بأن كل ما أذكره أو أذكره  
هنا فإنما هو وشمل من بحر وعمد من قطر .

لقد انبسط به مقام « رئاسة مجلس الشورى » في عام ١٣٤٠ هـ - وكان له نائبان  
أحدهما وهو الأول تختاره الحكومة - أو جلالة الملك - والآخر يكون بالانتخاب من  
بين أعضائه .. وكان ذلك مستمرا في كل دورات المجلس التي حلدها النظام بعد كل  
سنتين . ولقيام « سموه » آنذا بمنصب « نائب جلالة الملك » .. وبوزارة الخارجية  
كان يمهّد إلى النائب الأول وإلى النائب الثاني - في غياب الأول - بتصريف أمور  
المجلس وإدارة جلساته .. وترفع إلى سموه باعتباره نائبا للملك جميع القرارات  
التي يتخذها المجلس في كل ما يعال إليه من الأعمال والمعاملات والموازنات والأنظمة  
واللوائح والتعليمات في حدود صلاحياته المدونة في نظامه الأساسي . ويتخذ المجلس  
قراراته بالأكثرية - فإذا تساوت الآراء كان رأي الرئيس أو النائب الأول أو الثاني  
أيا كان منهما رئيسا للجلسة هو المرجح .. ويكون الحق للقسم الآخر في المغالفة  
بأسبابها وترفع مع القرار في نفس الوقت .. وتتألف في المجلس لجان ثلاث هي  
« لجنة الأنظمة » و « لجنة شؤون الإدارية » و « لجنة شؤون المالية » .. وتعال إليها  
من رئاسة المجلس المعاملات لدرسها ومناقشتها والاستماع إلى مبدوي الدوائر فيها .

ثم تقدم تقريرها عن كل موضوع على حدة ليدرس ويناقش في جلسة عامة بالمجلس . ويتولى مقرر اللجنة تقديم أي استيضاح بشأنه تفصيلا واجمالا . وقد اضيف الى هذه اللجان لجنة لتمييز الصكوك التجارية واخرى للاقتراحات .

وكان سموه يشرف على المجلس بطريق مباشر وغير مباشر . ويتصل بسموه النائبان في الاسترشاد في كل ما تستلزمه المصلحة الاتصال به ليكون الرأي متقفا بين المجلس والحكومة . في جميع الاعمال . وليس معنى ذلك ان يسير المجلس بمقتضى توجيه خاص - الى وجهة نظر محددة او معينة - بل كانت له الحرية المطلقة في ابداء رأيه في الشئون العامة المعروضة عليه . دون أي تقييد او تعديد . وله كل الحق في عرض آرائه ومقترحاته . بل وكل مخالفة . يديها أحد أعضائه او أكثر . ضد قرار الاكثرية على ان يكون القرار او المخالفة - كل منهما مدعم بحجته الشرعية او النظامية . والمهم قبل كل شيء هو الاخلاص في ذلك كله . وضمان ما تقضي به مصلحة الأمة والبلاد . وبذلك استطاع مجلس الشورى ان ينجح في تصديق كل ما أصدره من قرارات عامة او خاصة . فردية او جماعية . وكل ما أقره من أنظمة وتعليمات . وموازنات للدوائر . والبلديات . وطبعت جميع الأنظمة التي حازت التصديق وصممت بجميع الإدارات للعمل بموجبها .

وكان التصديق العالي - أحيانا - يرد على مخالفة قدمها عضو او أكثر . عن أساس ترجيح المصلحة وقوة الحجة فيها . لا أهدارا لقرار الاكثرية . ولكن اقتناعا بوجهة النظر المعارضة . طالما كانت واضحة بينة . تتفق والصالح العام .

ثم : كان سموه يشرف في رأس كل دورة حفل الافتتاح ١٠ كما كان يفعل جلالة الملك عبد العزيز حين وجوده بمكة . ويتلى فيه بيان من المجلس بما أتمه خلال دورته السابقة . ويبدأ فيه ما يقترحه في المستقبل في سبيل التقدم والإصلاح . وكان سموه يرتجل فيه خطابا رائعا جامعا مانعا . يعلن فيه ما تزعج الحكومة عمله في الانشاء والائمان والتعمير ويحث فيه على التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وبما لا بد من مراعاته في التدرج بالحكم والإدارة . - وينصح فيه بأسلوبه الحكيم وبما اختصه الله به من العلم والأناة بان تسع مناقشات المجلس في هدوء وسعة بال وحسن احتمال . وفي حرص تام على أداء الامانة وتحقيق الأهداف السامية دون تنازل عنها او هوانة فيها . ويدعو الى وجوب الصراحة والمناسبة وإثارة المصالح العامة . وربما - وجه الخطاب الى جهة او فريق . من الأعضاء . وهو يعني غيره على طريقة «ياك اعني فاسمي يا جارة» . فلا يجابه من يعنيه بعنايه ، ويمضي في ذلك على قاعدة « ما بال أقوام ؟ » حرصا على ان لا يجرح شعور من يعنيه مواجهة . . . وهناك يستشر المقصود بعديته انه هو . فيمنح وينصح !!



ويربأ بنفسه ان يفاجأ بفتح ذلك اذا هو لم يقلع عن كل ماخذ يجب ان يترفع عنه ..  
وان يتخلص منه ..

واذكر ان عضوين - في إحدى الدورات القديمة - تناجرا في القول .. ثم تلاهما  
وتفاسما وكادا يتلازمان .. وكنت سكرتيرا عاما .. يومئذ وفي عنقوان الشباب ..  
قبادرت « الفرع » بينهما حتى سكنت النائرة وعلم سموه بذلك ... فعاتبني على  
تدخلتي .. وقال : لماذا فصلت بينهما ؟ انهما يتعملان كل ما صدر منهما .. وكان  
عليهما ان يعاققا على كرامة المجلس .. فلا يتفاسيان ولا يتنازعا طائما ان كل راي  
تصطف له مكانته وحرمة ويعرض على ولاه الامور ولهم وحدهم الترجيح اخيرا .. فاما  
ان يحمل احدهما على رايه قسرا - فذلك مالا تقبله « الحكمة » ولا العقل ..  
ولا المنطق ..

قلت : ان سموه كرئيس للمجلس .. لم تكن تتاح له فرص الاشتراك في جلساته  
غالبا .. الا انه اذا كانت الامور المعروضة ذات اهمية كبرى .. او ذات مساس  
بالوضع العام .. فانه يستدعي المجلس الى رحابه .. ويرأس بنفسه الجلسة التي  
تدور فيها المناقشات .. حتى ينتهي الامر الى قرار اجماعي .. لو لم يرأس فيه  
الجلسة لظال بها الابد دون جدوى !

ومن اهم ما نص عليه نظامه انه اذا اتخذ قرارا ما ولم توافق عليه الحكومة  
ومضى عليه شهران فعليها اعادته اليه مصحوبا بوجهة نظرها فان فتح بها والا كان  
له ان يعرضه على جلالة الملك مباشرة من قبل رئيسه .. مع وجهة نظر الحكومة فيه ..  
ليصدر جلالته امره النافذ فيه بما يراه هو الاصوب والاصلاح

واشهد انه خلال مدة رئاسته التي ما يزال المجلس يعتز بها الى اخر يوم من  
حياته الغالية .. والتي تجاوزت « نصف قرن » لم يكن الا المثل الامثل للفلسف  
الاسلامي الرفيع .. والا القدوة الحسنة لمن يملك ان يقول ويقبل .. الا انه بطبعه  
وفطرته لا يبتز الراي ولا يصادره ولا يفضي عنه الا بعد ان يكون قد استنفذ فيه كل  
ما اوتيته من حكمة وروية وسداد ... فهنا لك لاتاخذ في الحق لومة لائم .. وكان  
من عاداته انه اذا كتب اليه عضو ما او غيره .. بما لا يرضى من القول في زميل له  
او اكثر يرسل ذلك الى المجلس ليطلع اليه .. تهديبا وتاديبا وتائيبا .. فلا يدع  
مجالا لغيره في الطامعن الخلفية وهو حجر يضرب به عصافيرين معا !! وقلما حدث  
هذا الا نادرا جدا ..

ولقد كان جلالة المنفور له مؤسس هذه النولة وباني كيانها ورافع بنيانها

ومشيد سلطانها الملك عبد العزيز تفهمه الله برحمته ورضوانه .. يتولى بنفسه افتتاح الدورات كلما كان ذلك اثناء وجوده بمكة المكرمة .. وفي النشاء غيابه « بالرياض » يتولى ذلك من جلالتة « رئيس المجلس » ورئيس الحكومة نائباً عن جلالتة .. وكان المجلس يتلقى من جلالتة في ختام كل دورة « تقديرًا وتشجيعًا » رسميًا يزيد به اقتباطًا وفخرًا وانطلاقًا الى ما هو خير مما مضى بقدر ما استطاع تعدوه الى ذلك الثقة العالية ، ولقد تعاقب على المجلس في دوراته الكثيرة « رجال » لهم وزنهم في المجتمع كله وكانوا ذوي سمع ووفاء .. وعلم وفضل وتجربة ومنهم الاشياخ ومنهم الشباب .. وكان منهم اهل البيان الذي يتدفق اثناء المناقشة بحيث يود السامع ان لا يسكت القائل ... مهما طال .. ومنهم من كان مديراً عاماً أو سفراً أو اميراً أو قاضياً أو اديباً بارزاً ، او اشاعراً كبيراً ، او صحفياً لا معاً .

ومن تقاليد المناقشة ان يكون لكل عضو الحق في الكلام في موضوع واحد وجلسة واحدة ثلاث مرات كلما جاء دوره بالترتيب ... وقد لا يثبت في الموضوع المعروض في جلسة واحدة .. ويستتم ذلك في جلسة قائمة .. فتراث استوفى كل ما يجب ان يقدم به جمعه فيه .. ويدلي به في سكتة .. وطمانينة .. ولا يقطع مطلقاً وان شئت القاعدة .. وتتملر الانصات .. كما هي عادة المجالس العامة .. اعلن رئيس الجلسة فضاء مؤلفنا بعض الوقت .. لم تستأنف .. حين يكون الجو أكثر هدوءاً .. ولا يد للترئيس في بعض القروى .. ان يرفه عن الاعضاء - بطرفة او دعابة او نادرة تلطف من جو الموقف ... وتزيل عنه مآلذ يرين عليه من تعجبهم او انقباض ..

اما اسلوب الحكم - فان له مجالاً غير هذا .. وهو في كلياته وجزئياته عمل باحكام الشريعة المطهرة في كل دقيق وجليل ، هذا - واعترف انني لم اوف هذا الموضوع بعض حق من جميع الجوانب .. غير انه « الامة » او اضمامة ورد بفوح اريجها ويدل على ما كان للشهيد العظيم من صلة بالمجلس ... ابان رئاسته ..



ولا يفوتني أن استطرد هنا إلى أن نظام المجلس الأساسي قد حوله استدعاء رؤساء الدوائر ذات العلاقة بالموضوع المطروح أمام المناقشة أو من ينوب عنهم كلما اقتضت المصلحة ذلك ، وبعد استطلاع ما لديهم في ذلك يقادرون الجلسة .. ويتخذ المجلس قراره في ذلك دون مشاركتهم في التصويت معه . وقد حدث مرة أن اشترك بعض ذوي المكانة في مناقشاته . وأصروا أن تكون لهم مشاركة في التصويت أيضا لأنهم لم يشاركوا إلا بأمر سام .. فأبى المجلس عليهم ذلك .. وأخذ جلالة الملك وسمو الأمير نائبه يناصره في موقفه هذا لتمسكه بالنظام .

هذا ... واني للكتاب مجتمعين أن يستوعبوا الإمداء البعيدة ، والاعمال الباهرة : والمواقف الشريفة التي قام بها جلالة الراحل العظيم في مختلف الشئون العامة وفي مجالات العرب والسياسة والاقتصاد وتاليف القلوب وتوحيد الكلمة في العالمين العربي والإسلامي !!! فانها مما تضيق عنه المجلدات الضخمة وحسب أن الله جل وعلا لا يضيع أجر من أحسن عملا ، وأنه بإيمانه وبقينه والقواله والفعاله وجهاده خالد في جنات النعيم أن شاء الله . . . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وختمنا انضرع الى الله جل وعلا ان يتغمد الشهيد العظيم الذي لا تحصى مآثره وإباديه ورائد التضامن الاسلامي « جلالة الملك فيصل » برحمته الواسعة وأن يعسن جزاءه علي ما قدمه ( من الباليات الصالعات ) وأن يتولي يعونه وتوفيقه وتأييده جلالة خلفه المحبوب الملك خالد المعظم وسمو ولي عهده العبيد والنائب الاول لرئيس مجلس الوزراء الأمير فهد بن عبد العزيز وسمو النائب الثاني الأمير عبدالله ابن عبد العزيز وأن يأخذ بأيديهم إلى ما يعبه ويرضاه ، أنه سمع مجيب .

مكة المكرمة - أحمد بن إبراهيم الغزوي